أدلـة إثبات الكرامة في الكتـاب والسنة
والرد على المخالفين
دكتور/ خالد بن محمد بن عبد الكريم الزهراني

تعريف الكرامة :

الكرامة لغة : (الكاف والراء والميم : أصل صحيح ، له بابان ؛ أحدهما : شرف الشيء في نفسه، أو شرفه في خلق من الأخلاق) [١]

أما اصطلاحاً: هي (أمر خارق للعادة يظهره الله عز وجل على أيدي أوليائه)[٢]،

عقيدة أهل السنة في الكرامات :

قال الإمام الطحاوي عن الأولياء : (ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم) [٣].

وقال ابن تيمية : (ومن أصول أهـل السنة والجماعة : التصديق بكرامات الأولياء وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات ، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة ، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة) [٤]

الأدلة على إثبات أهل السنة للكرامة:

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة على وقوع الكرامة فمن ذلك :

١- ما ذكره الله عز وجل في قصة أصحاب الكهف قال تعالى[أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ

---

(١) ينظر:معجم مقاييس اللغة(١٤١/٦)

(٢) ينظر:مقدمة تحقق (كرامات أولياء الله) للألكائي ،لأحمد سعد حمدان(ص١٤)

(٣) ينظر: شرح الطحاوية : (٧٤٥/٢).

(٤) ينظر: الفتاوى (١٥٦/٣)

رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا...]الآيات [الكهف:٩-١٠]

٢- وما ذكره الله في قصة مريم عليها السلام كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ [٣٧-آل عمران]

٣- ما وقع لمريم عليها السلام من هزها لجذع النخل وتساقط الرطب عليها كما قال تعالى : {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً}[مريم:٢٥]

٤-وما وقع للذي عنده علم من الكتاب حيث قال كما حكى الله عنه{ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ }[النمل:٤٠]

ومن السنة:

١- عن أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه و سلم فقال ((اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير)) قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال ((وتدري ما ذاك)) . قال لا قال ((تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم))[١]

٢-عن أنس رضي الله عنه : أن رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه و سلم في ليلة مظلمة وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما[٢]

---

(١) رواه البخاري،رقم(٤٧٣٠) ورواه مسلم،رقم(١٨٩٥)

(٢) رواه البخاري،رقم(٨٣٠٥)

٣- حديث أبي هريرة : أن خبيبا كان ((يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد))[١]

٤-عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ((انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فناء بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج قال النبي صلى الله عليه و سلم وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه و سلم وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلي أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)) [٢]

---

(١) رواه البخاري،رقم(٣٠٤٥)

(٢) رواه البخاري، رقم(٢٢٧٢) ،ومسلم،رقم(٧١٢٧)

ضوابط قبول الكرامة [١]:

أولاً : أن لا تشتمل الكرامة على ترك شيء من الواجبات ، أو فعل شيء من المحرمات ، أو التزام شيء من العبادات لم يرد فيه نص شرعي [٢].

قال ابن الجوزي – رحمه الله : (قد لبَّس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا – بزعمهم – أمر القوم ؛ والحق لايحتاج لتشييد بباطل) ثم ساق قصة تُروى عن سهل بن عبد الله فيها أن أحد الأولياء اشترط عليه أن يرمي ما معه من الزاد حتى يعطيه نور الولاية فتكون له خوارق العادات ، ففعل ، إلى أن قال سهل : فغشيني نور الولاية ! ثم علَّق ابن الجوزي بقوله : (ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم : (اطَّرِحْ ما معك) ؛ لأن الأولياء لا يخالفون الشرع ، والشرع نهى عن إضاعة المال) [٣]

ثانياً : ألا تشتمل على ما عُلِم في الشريعة عدم وقوعه ، كدعوى لقيا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، وكأن يرى شخصاً على صورة نبي أو ملك أو صالح يقول له : قد أبحت لك الحرام ، وأحللت لك الحلال ، أو أسقطت عنك التكاليف .

قال الشاطبي : (مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها ، وذلك أنها قد تكون في ظواهرها كالكرامات ، وليس كذلك ؛ بل من أعمال الشيطان . كما يُحكى عن عبد القادر الجيلاني أنه عطش عطشاً شديداً ، فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ، ثم نودي من سحابة : (يا فلان ! أنا ربك ،وقد أحللت لك المحرمات) فقال له : (اذهب يا لعين) . فاضمحلت السحابة . وقيل له : بِمَ عرفت أنه إبليس ؟ قال : بقوله : (قد أحللت لك المحرمات) . هذا وأشباهه لو لم يكن الشرع حَكَماً فيه لما عرف أنها شيطانية) [٤] .

ثالثاً : ألا يستعين بالكرامة على معصية الله – عز وجل – فإن أكمل الكرامات ما كان معيناً على طاعة الله – عز وجل – أما الكرامة والكشف والتأثير إن (لم يكن فيه فائدة كالاطّلاع على سيئات العباد ، وركوب السباع لغير حاجة ، والاجتماع بالجن

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس ، ص٢٨٥ .

(٢) ينظر: تلبيس إبليس ، ص٢٨٥ .

(٣) ينظر: تلبيس إبليس ، ص٢٨٥ .

(٤) ينظر: الموافقات (/٢٧٥-٢٧٦).

لغير فائدة ، والمشي على الماء مع إمكان العبور على الجسر فهذا لا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهو بمنزلة العبث واللعب) [1].

الفرق بين الكرامة والمعجزة [2]:

الأول : أن المعجزة تقع للنبي مقترنة بدعوى النبوة .

الثاني : أن المعجزات من الدلائل على صدق النبي وتأييد الله له ، وتأتي لحاجة الخلق وهدايتهم ، وتحصل للأنبياء وهم عالمون بوقوعها ، كما يجب عليهم إظهارها ، خاصة إذا توقف إيمان الناس عليها .

المخالفون لأهل السنة في الكرامات :

وهم طائفتان: متوسعون في إثبات الكرامة، ومنكرون لوقوع ما سوى المعجزات.

فأما المنكرون: فهم: الفلاسفة، والمعتزلة، ومن تأثر بهم، وبعض الأشاعرة كالإسفراييني

وأما المتوسعون فهم :الصوفية والرافضة .

أولاً:مذهب المنكرين:

المعتزلة في مسألة كرامات الأولياء ثلاثة مذاهب

الأول: وهو قول جمهورهم واكثرهم وبالأخص من ليس منهم شيعيا يرى عدم جواز ذلك شرعا وعقلا

الثاني: قول ابي الحسين البصري ومختار المعتزلي ومعتزلة الشيعة قاطبة لكونها من لوازم الإمامة عندهم إمامية وزيدية

الثالث: قول أبي بكر ابن الإخشاد وهو جوازها عقلا لا شرعا.

وأما ألتهم فأدلة المثبتين هي نفس أدلة أهل السنة ، وأما أدلة المانعين فهي التي سأتناولها بالعرض والنقض باختصار وليس هناك شيء يجعل ابن الإخشاد يخالف أدلة المنكرين. لذلك سأجعله معهم في النقض ولتعذر الوقوف على أدلته لكن بالنسبة للتجويز العقلي فلن يجاوز أدلة أهل السنة وبالنسبة للمنع الشرعي فلن يجاوز أدلة المعتزلة

([1]) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢٨/١١)

([2]) ينظر: النبوات (ص ٤).

أدلة المانعين من المعتزلة والجواب عنها:

١- قالوا: تجويز الكرامة يفضي إلى السفسطة لأنه يقتضي تجويز انقلاب الجبل ذهبا ابريزا أو البحر دما عبيطا وانقلاب أواني يتركها الإنسان في بيته إلى أئمة فضلاء مدققين(١)

الجواب عنها:

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه

أحدها: أنا لا نسلم بلوغ الكرامة هذا المبلغ (٢)

الثاني: أنه لو جاز اعتبار انقلاب الأعيان سفسطة بالنسبة لكرامات الأولياء فهو كذلك يكون في معجزات الأنبياء فهذه الشبهة ساقطة على كل حال. بقطع النظر عن جواز ظهور انقلاب الأعيان على يد الأولياء أم عدم جوازه (٣)

الثالث: ان التجويزات العقلية لا تقدح في العلوم العادية ،وجواز تغيرها بسبب دعوى اطراد أمر الكرامة تجويز عقلي فلا يقدح فيها(٤).

قالوا لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة ولا تبقى للمعجزة دلالة على ثبوت النبوة(٥)

والجواب يكون بمنع الاشتباه وبيان الفرق(٦)

مما لا شك فيه ان المعجزة مشابهة للكرامة من حيث عدم خضوعها لقانون الأسباب وأنها فعل محض من الله تعالى ليس للعبد فيه أي سبب

وأنه قد يجري على يد الرجل الصالح مثل ما جرى على يد النبي :

ولكن الفرق ان المعجز تكون مصاحبة للتحدي ودعوى النبوة فيؤخذ مصاحبتها للتحدي من تسميتها بالمعجزة ،لأنها معجزة لغير النبي ان ياتي بمثلها. ودعوة النبو ة تؤخذ من واقع الأنبياء

---

(١) انظر الأربعين للرازي ٢٠٣/٢

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣١٦/٢

(٣) من طبقات الشافعية الكبرى ٣١٦/٢ مع زيادة توضيح وبيان.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣١٦/٢

(٥) المغني – النبؤات والمعجزات ص ٢٢٣ وطبقات الشافعية ٣١٧/٢

(٦) ينظر لبيان الفرق بين المعجزة والكرامة الفصل في الملل والنحل ١٠٠/٥-١٠١ طبقات الشافعية الكبرى ٣١٧/٢

فكل خارق ظهر على يد مدعي النبوة مع التحدي فهو معجزة، وماسوى ذلك مما يظهر على الصالحين والاولياء فهو كرامة يكرمهم الله بها

ولا مانع من تسمية الخوارق التي تظهر على النبي وعلى الولي بالمعجزة بالنسبة للنبي من باب التبع لأنه لما ثبتت نبوته بمعجزته الكبرى كان تلك المعجزات الصغرى بمنزلة التاكيد والدعم لها والإقرار من الله تعالى لعبده وتصديقه له في اخباره برسالته.

وكل كرامة لولي هي في الحقيقة معجزة لذلك النبي ؛ لأنه انما نالها باتباعه وهذا هو قول الأولياء جميعا لفظا وحالا.

٣. لو كان للكرامات أهل لكان اولى الناس بها أهل الصدر الأول وهم صفوة الإسلام وقادة الأنام والمفضلون على الخليقة بعد الأنبياء عليهم السلام ولم يؤثر عنهم أمر مستقصى[١]

قال السبكي في الجواب عن هذه الشبهة:

وهذا الذي ذكروه تعلل بالأماني وهو قول مرذول مردود فلو حاول مستقصى استقصاء كرامات الصحابة رضي الله عنهم لأجهد نفسه ولم يصل إلى عشر العشر[٢]،وقد تقدم ذكر شيء من الكرامات التي وقعت لهم.

ومما دفع المعتزلة الى انكار كرامات الأولياء هو عدم تفريقهم بينها وبين المعجزات وقد نص على عدم الفرق القاضي عبدالجبار فقال: فإن قالوا ان الذي يجوز ظهوره عليهم الكرامات دون المعجزات قيل لهم: ما الذي تريدون بالكرامات فلا يخلو قولهم من ان يرجعوا إلى ما ينقض العادة كما قلناه في المعجزات فيؤول الخلاف فيه الى العبارة.. فاختلاف العبارات لا يؤثر وان ارادوا بذلك ما لا ينقض العادات فهذا مما يجوز ظهوره على الصالحين فضلا عن الصالحين إلى ان قال: فقد بينا من قبل ان الصغير في ذلك في حكم الكبير وانه لا معتبر بالصغر والكبر

(١) المغني في ابواب العدل والتوحيد النبؤات والمعجزات ص ٢٤١

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣٢١/٢

ثالثاً: مذهب المتوسعين في أثبات الكرامة:

مذهب الصوفية:

أما مذهب الصوفية فلا يخالفون الأشعرية في تعريف جنس الكرامة وإثباتها والفرق بينها وبين سائر الخوارق مثل المعجزة والإرهاص وغيرهما[١]

ولا خلاف بين الصوفية في عدم جواز جريانها على غير الولي الذي خرق عوائد نفسه بكثرة التعبد والتقرب فإنه لا بد عندهم أي ينال بعض الخوارق إكراما من الله على اتباعه لنبيه[٢]

ولكنهم خالفوا الأشعرية وغيرهم في بعض الجزئيات في باب الكرامات منها

أولا: قولهم بعدم منع الولي من أي نوع من انواع خوارق العادات ما لم يرد فيها نص مثل معجزة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن فمن ادعى مثل هذه فهم إذ ذاك يكذبونه وإما ما سوى المنصوص عليه صراحة ولا يمنعون جريانه على يد الصالحين

قال الشعراني فان قلت: فإذا ادعى شخص غريب لا يعرف له أب أنه خلق من تراب كما وقع لآدم عليه السلام هل لنا تصديقه؟

فالجواب نعم نصدقه لأن غايته أنه ادعى ممكنا لم يرد لنا نفي وقوعه ولا أنه خاص بادم عليه السلام[٣]

ثانيا: امتداد تأثير الكرامة وجريانها على يديه حتى بعد الممات واستدلوا على ذلك بامور

١-الإمكان العقلي

عدم الدليل المانع من وقوع مثل هذا

كثير من الحكايات التي ذكروها[٤].

---

(١) البواقيت والجواهر للشعراني ص٣٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٣-٣٥٤

(٣) المصدر السابق ص٣٥٤

(٤) انظر للتوسع في ذلك كتاب كرامات الاولياء في الحياة وبعد الممات للعارف احمد الخالدي ص ٤٦ وما بعدها.

وإثبات الصوفية كرامات الأولياء يخالف منهج أهل السنة في الأمور التالية : [1]

أولاً: أهل السنة والجماعة لا يحرصون على الكرامات ولا يعولون عليها ،خوفا من المكر والغرور، لكن الصوفية تحث على الاهتمام بالخوارق واعتبارها معيارا لمعرفة الولي. قال الشعراني في ترجمة محمد الغمري عن قوله: "وكان سيدي أحمد لا يأذن قط لفقير أن يجلس على سجاده إلا إن ظهرت له كرامة.

ثانيا:أنه لا تلازم بين الخوارق والولاية عند أهل السنة والجماعة فقد يكون الشخص من أولياء الله المقربين ،وليس له من الخوارق شيء قال شيخ الإسلام:((فاعلم أن عدم الخوارق..))

أما الصوفية فقد اشترطوا ظهور الخوارق على الشخص حتى يكون وليا من الأولياء. قال سهل بن عبد الله:((من زهد في الدنيا أربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا في ذلك ،ظهرت له الكرامات ،ومن لم تظهر فلعدم صدقه))

ثالثا: أن أهل السنة والجماعة لا يفسرون كل أمر غريب بأنه كرامة ،حتى يعرضوه على الكتاب والسنة ،أما الصوفية فإنهم يبادرون بنسبة كل أمر غريب صادر من شخص غريب أو معروف بأنه كرامة لولي.

قال شيخ الإسلام :((والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان؛ فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكاشف بها، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل وتمريض ونحو ذلك، وتارة يجلبون له من يريد من الإنس، وتارة يسرقون له ما يسرقونه من أموال الناس من نقد وطعام وثياب وغير ذلك، فيعتقد أنه من كرامات الأولياء وإنما يكون مسروقًا، وتارة يحملونه في الهواء فيذهبون به إلى مكان بعيد))[2].

وقال ابن الجوزي:((وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا بإسناد عن حسن عن أبي عمران قال قال لي فرقد يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتي وهي ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندي فدعوت فبينما أنا أمشي على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فإذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص فقال تصدق بها فإنها ليست لك قلت أبو عمران هو ابراهيم النخعي ففيه أهل الكوفة فانظروا إلى كلام الفقهاء وبعد الإغترار عنهم وكيف أخبره أنها لقطة ولم يلتفت إلى ما يشبه الكرامة وإنما لم

---

(1) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/٢٩٣-٣١١)

(2) مجموع الفتاوى(١/١٧٣)

يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار وكأنه انما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وأنفاقها))[١]

رابعا:أن أهل السنة لما كانوا لا يرون أن هناك تلازما بين الكرامات والولاية لم يحتاجوا إلى الإكثار من روايات كرامات الأولياء فضلا من أن يكذبوا في إيرادها ، ولما جعل الصوفية الكرامة أساس الولاية حرصوا على جمع الكرامات لمن ادعوا لهم الولاية، وتعدى الأمر إلى الاختلاق والكذب، ومما نسجوه ما رواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس عن عبد العزيز البغدادي قال كنت أنظر في حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول وهو يتولى الصالحين فالتفت فلم أر شيئا فطرحت نفسي من السطح فوقفت في الهواء

قال ابن الجوزي:((هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فكيف يكون صالحا وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم))[٢]

خامسا: أن من ضوابط الكرامة عند أهل السنة أن الكرامة لا تكون معصية لله ولا مخالفة لشرعه ، أما الصوفية فلا مانع أن تكون الكرامة مخالفة لشرع الله ،فمن ذلك:ما ذكره ابن ضيف الله من كرامات ولي يقال له صاحب الربابة ،أنه كان إذا جاءه الحال أحضر البنات والعرائس والعرسان للرقص،ويضرب الربابة ،كل ضربة لها نغمة يفيق فيها المجنون ،وتذهب منها العقول ،وتطرب لها الحيوانات والجمادات

ومن ذلك أن أحدهم كان يتشوش من قول المؤذن: الله أكبر فيرجمه، ويقول: عليك يا كلب، نحن كفرنا يا مسلمون حتى تكبروا علينا؟![٣]

سادسا : أن من قواعد أهل السنة والجماعة عدم الغلو في الأولياء،وعدم اعتقاد العصمة لهم ،فضلا من أن يدعوا لهم شيئا من خصائص الله ، أما الصوفية فقد غلوا ،غلوا كبيرا في الأولياء ،وغلوهم هذا نلخصه في النقاط التالية[٤] :

---

(١) تلبيس إبليس(٣٦٨)

(٢) تلبيس إبليس

(٣) انظر:الطبقات الكبرى(١٤٠/٢)

(٤) انظر: تقديس الأشخاص (٦٢-٧٩)

١- زعمهم أن الولي يتطور ويتشكل ويتواجد في أماكن مختلفة في آن واحد. قال الشعراني في ترجمة الشيخ حسين أبي علي: (كان هذا الشيخ من كُمّل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات: تدخل عليه الأوقات تجده جندياً، ثم تدخل عليه فتجده سبعاً، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل عليه فتجده صبياً، وهكذا)[١]

٢-أن خيال الأولياء في الفكر الصوفي حقيقة حسية واقعية . كما حكى الشعراني عما حصل للجوهري، حين غطس في البحر وتخيل أنه تزوج عراقية فأنجبت له أولاداً، فأتته بعد مدة بأولادها منه [٢]

٣-إباحة مخالفة الشريعة الإسلامية للأولياء في الفكر الصوفي . فقد أشار الشيخ التيجاني أن العارفين لمبالغتهم في التخفي يستترون عن العامة بارتكاب الدواهي من الزنا والكذب الفاحش وشرب الخمر وقتل النفس وأضاف أن ذلك صور لا وجود له في الخارج[٣]

٤- وصفهم الأولياء لأوليائهم بأنهم يعلمون الغيب، وأنهم يقولون للشيء كن فيكون. يقول الشعراني عن شيخه الخواص ((العارف له أن يقول أنا أعرف الآن ما تكتبه الأقلام الإلهية في شأني ويكون صادقا .[٤]

ويقول الشيخ إدريس بن الأرباب :((درجات الأولياء على ثلاثة أقسام :عليا ،ووسطى ،وصغرى فالصغرى أن يطير في الهواء ،ويمشي على ظهر الماء ،وينطق بالمغيبات ،والوسطى أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قال للشيء كن فيكون ،وهذا مقام دفع الله ولدي،والكبرى هو درجة القطبانية))[٥]

٥- يصفون الأولياء بما يصفون به ربهم .يقول الشعراني أن الشيخ محمد الحضري كان يقول: (الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم)[٦]

---

(١) الطبقات الكبرى(٢/٧٨)

(٢) الطبقات الكبرى

(٣) جواهر المعاني(١/١٦٢)

(٤) الجواهر والدرر(٢١٠) وانظر الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات

(٥) طبقات ابن ضيف الله (٢٠٦)

(٦) الطبقات الكبرى(٢/٩٤)

٦- أن الولاية تكون بأيدي الأولياء الكبار يعطونها لمن شاؤوا. يقول الدباغ: (يقدر الولي على أن يكلم أحداً في أذنـــه، ولا يقوم عنه حتى يكون هو والولي في المعارف على حد سواء)[١]

٧ - أن الأولياء يقــابلون النبي –صلى الله عليه وسلم– يقظة، ويتلقون عنه ،فمن ذلك أنهم يسألونه عن حكم الأحاديث صحة وضعفا ،يقول ابن عربي :((ورب حديث يكون صحيحا من طريق رواته ،يحصل لهذا المكاشف ،الذي عاين هذا المظهر فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث الصحيح فأنكره،وقال له:لم أقله ولا حكمت به ،فيعلم هذا المكاشف ضعفه ،فيترك العمل به عن بينة من ربه وإن كان عمل به أهل النقل لصحة طريقه وبنفس الأمر ليس كذلك))[٢]

٨–ادعاؤهم أن للولاية خاتماً كما للنبوة خاتم، وهي فكرة صوفية اخترعها الحكيم الترمذي، وطورها الصوفية بعده حتى جعلوا لكل زمان خاتما[٣]

سابعا :أن من كرامات الأولياء عند الصوفية ما يسمى بالكشف الذي هو رفع الحجب عن قلب الصوفي وبصره فزعموا بالكشف أن الصوفي يكشف له معان في القرآن والحديث لا يعلمها علماء الشريعة، وأنهم أخذوا هذه المعاني من الرسول، وزعموا أن لهم علوماً لا توجد في الكتاب ولا في السنة يأخذونها عن الخضر، وزعموا أنهم يتلقون علومهم عن ملك الإلهام كما تلقى الرسول محمد عليه السلام من ملك الوحي، ومنهم من زعم أنه يتلقى من الله مباشرة إلى غير ذلك من بدعهم وخرافاتهم، التي استباحوا فيها المحرمات، وأسقطوا فيها التكاليف، وابتدعوا عبادات لم ينزل الله بها من سلطان.(٤)

أما أهل السنة والجماعة فيقولون بالكشف الذي لا يخالف كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الإبريز(ص١٧٥)

(٢) الفتوحات المكية (٣٥٨/٢)

(٣) انظر:الفرقان(ص١٩٣)

(٤) انظر: ((التعريفــات))(ص/١٨٤) «الفكــر الــصوفي» (ص/١٤٣)، ومــا بعــدها و«فــرق معاصــرة» (١٠١٩/٣-١٠٢٢).